

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

معنى الرحمة في اللغة

المبحث الأول : مادة (رح م) ومشتقاتها في القرآن الكريم:

عند بحثنا في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نجد مادة (رح م) مع مشتقاتها قد وردت في القرآن الكريم (278) مائتان وثمان وسبعون مرة. فإذا بدأنا بتصنيف كل لفظ من ألفاظ الرحمة على حده، ومجملة في القرآن الكريم، نجد أن جميع الألفاظ بدون حساب التكرار فيها قد بلغ تعدادها سبع وعشرون كلمة (27)، وإذا قمنا بتعداد كل كلمة بحسب ورودها في السور، نجد أن :

- 1 — لفظ (رحم) تكرر في القرآن الكريم أربع مرات.
 - 2 — ولفظ (رُحماء) تكرر مرة واحدة.
 - 3 — ولفظ (رَحمة) تكرر أربعون مرة.
 - 4 — ولفظ (لرحمة) تكرر مرة واحدة.
 - 5 — ولفظ (برحمة) تكرر سبع مرات.
 - 6 — ولفظ (الرحمة) تكرر ست مرات.
 - 7 — ولفظ (برحمتك) تكرر مرة واحدة.
 - 8 — ولفظ (رحمتك) تكرر مرة واحدة.
 - 9 — ولفظ (رَحْمَتنا) تكرر أربع مرات.
 - 10 — ولفظ (رَحْمته) تكرر ست عشرة مرة.
 - 11 — ولفظ (رحمتي) تكرر مرتين.
 - 12 — ولفظ (رَحِمنا، ترحمنا، يرحمنا) تكررت ثلاث مرات.
- فلفظ (رَحِمنا) تكرر مرة واحدة، ولفظ (ترحمنا) تكرر مرة واحدة، ولفظ (يرحمنا) تكرر مرة واحدة.
- 14 — ولفظ (أرحم) تكرر مرة واحدة.
 - 15 — ولفظ (تُرحمون) تكرر ثمان مرات.

- 16 — ولفظ (ارحمهما) تكرر مرة واحدة.
- 17 — ولفظ (سيرحمهم) تكرر مرة واحدة.
- 18 — ولفظ (يرحمكم) تكرر مرتين.
- 19 — ولفظ (يرحم) تكرر مرة واحدة.
- 20 — ولفظ (رحمه) تكرر مرة واحدة.
- 21 — ولفظ (رحيمته) تكرر مرة واحدة.
- 22 — ولفظ (رحمناهم) تكرر مرة واحدة.
- 23 — ولفظ (رحيم) تكرر واحد وستون مرة.
- 24 — ولفظ (رحيمًا) تكرر عشرون مرة.
- 25 — ولفظ (الرحمن) تكرر خمس وأربعون مرة.
- 26 — ولفظ (الرحيم) تكرر أربع وثلاثون مرة.
- 27 — ولفظ (الأرحام، أرحامكم، أرحامهن، أرحام، رُحما) تكرر ثلاث عشرة مرة، فلفظ (الأرحام) تكرر سبع مرات، ولفظ (أرحام) تكرر مرتين، ولفظ (أرحامكم) تكرر مرتين، ولفظ (أرحامهن) تكرر مرة واحدة، ولفظ (رُحما) تكرر مرة واحدة.

المبحث الثاني: معنى رحم في اللغة

قد يأتي اللفظ في اللغة بعدة معانٍ مشتركة، فالمشترك ما اتفق لفظه واختلف معناه، فهذه المعاني تسمى في علوم القرآن الوجوه، قال الزركشي⁽¹⁾: (الوجوه هي: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ)، ولقد ورد لفظ (رحم) في معاجم اللغة على عدة معانٍ منها:

1 — الرقة والتعطف والمغفرة :

عند دراستنا وبحثنا عن معنى (رحم) في المعاجم وجدنا أنها تحمل معنى : (الرقة والتعطف والمغفرة)، والمرحمة مثله وقد رَحِمَهُ بكسر الحاء، رَحْمَةً وَمَرَحَمَةً أيضاً، وتَرَحَّمَ عليه، وتَرَأَّحَ القوم رَحِمَ بعضهم بعضاً⁽²⁾.

وذكر ابن منظور⁽³⁾ في كتابه: والرحمة المغفرة ، والرحم في اللغة : العطف والرحمة⁽⁴⁾، و يقال رَحِمَ يَرْحُمُ إذا رَقَّ، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى واحد.⁽⁵⁾

2 — الرقة والإحسان :

وقد تأتي بالمعنيين معا رقة وإحسان، قال في التوقيف: (والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو: رحم الله فلانا، وتأتي الرحمة بمعنى الرقة والإحسان كذلك، فإذا وصف بها الباري، فليس المراد

1 - الزركشي: هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمئة، كان فقيهاً أصولياً أدبياً فاضلاً، أخذ العلم من الشيخين جمال الدين الأسنوي، وسراج البلقيني وغيرهما، له مصنفات كثيرة منها: أصول الفقه، وعلوم الحديث لابن الصلاح، والبرهان في علوم القرآن، وشرح جمع الجوامع للسبكي، ولقطة العجلان، توفي سنة تسع وتسعين وسبعمئة، انظر: (الدرر الكافية في أعيان المائة والثامنة، لابن حجر العسقلاني، المتوفى (852هـ)، 17/4، مطبعة مجلس دائرة المعارف الثقافية - حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1348هـ/1928م، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، الإمام شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي الدمشقي، المتوفى (1089هـ)، 335/6، تحقيق: عبد القادر ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، وطبقات الشافعية 319/2 - 320، برقم: 700.

2 - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، كتاب الرءاء 100/1، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، تحقيق: محمود خاطر، طبعة جديدة، 1415هـ/1995م.

3 - ابن منظور: هو الشيخ جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، ولد سنة 630هـ، المتوفى سنة 711هـ، صاحب كتاب لسان العرب الذي جمع فيه بين التهذيب المحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية، ورتبه ترتيب الصحاح (الفهرست، محمد إسحاق أبو الفرج النديم، المعروف بإبن النديم، دار المعرفة - بيروت، 1398هـ/1978م، بدون رقم الطبعة).

4 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ولد 630، توفي 711)، 12/ 230، 231، دار الصادر - بيروت، ط1، 1375هـ/1956م.

5 - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص331، 142، باب الرحمة، مؤسسة الرسالة - بيروت، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط1 - 1404هـ / 1984م.

بها إلا الإحسان المجرد دون الرقة، فالرحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركب الله في طباع الناس الرقة، وتفرد بالإحسان⁽¹⁾.

وقال في لسان العرب: والرحمة في بني آدم عند العرب رقة القلب وعطفه، ورحمة الله عطفه وإحسانه ورزقه⁽²⁾.

3 — حب الخير للآخرين:

والرحمة هي إرادة إيصال الخير⁽³⁾.

4 — الحنان :

حنانيك من الحنان وهو الرحمة⁽⁴⁾، قال طرفة بن العبد⁽⁵⁾:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض
كأنه قال رحمتيك لأن التحنن من الرحمة أي ارحمنا رحمة بعد رحمة.

4 — الرأفة:

و رَأْفَ الله بك و رَئِفَ رَأْفًا و رَأَفًا و رَوُّفَ رَأْفَةً و رَأْفَةً وهي أرق الرحمة فهو رَوُّوفٌ و رَوُّوفٌ و رَئِفٌ و رَأْفٌ⁽⁶⁾.

وجاء في موسوعة نظرة النعيم: (ولتوضيح الإشكال الدائر بين الرحمة والرأفة، قال بعض العلماء: الرحمة هي أن يوصل إليك المسار، والرأفة هي أن يدفع عنك المضار، والرأفة إنما تكون باعتبار إفاضة الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب، والرحمة من باب التزكية، والرأفة من باب التخلية، وذكر الرحمة بعد الرأفة مطرد في القرآن الكريم لتكون أعم وأشمل).

1 - التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، 1/ 360-361، دار الفكر المعاصر بيروت - دمشق، تحقيق د/ محمد رضوان الداية، ط1، 1310هـ - 1990م.

2 - أنظر لسان العرب، لابن منظور، 12/ 232.

3 - التعريفات، للجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني، 1/ 19، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، ط1، 1405هـ - 1985م.

4 - أنظر كتاب حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، 1/ 21، مؤسسة الرسالة - بيروت، تحقيق: د/ علي توفيق الحمد، ط1، 1984م.

5 - طرفة بن العبد بن سفيان البكري شاعر من شعراء الجاهلية، من شعراء المعلقات السبع، له معلقة يصف فيها الناقة بوصف دقيق، مطلعها: لخولة أطلال ببرقة ثمهد... فضله بعض الشعراء على غيره، وزعم لبيد أنه أشعر الناس، عاش خمس وعشرون سنة، انظر ((أبجد العلوم، صديق حسن القنوجي، (1248هـ - 1307هـ)، تحقيق: عبد الجبار زكار، 3/ 89، دار الكتب العلمية - بيروت، 1398هـ/ 1978م).

6 - كتاب الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، 2/ 62، عالم الكتب - بيروت، ط1، 1403هـ/ 1983م.

وقال ابن الأثير⁽¹⁾: الرأفة أرق من الرحمة، ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة (قد) تقع في الكراهة للمصلحة⁽²⁾.

قال الرازي⁽³⁾: أما قوله: (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) ففيه مسائل:

المسألة الأولى — قال القفال⁽⁴⁾: الفرق بين الرأفة والرحمة، أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، كقوله: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾⁽⁵⁾ أي لا ترأفوا بهما، فترفعوا الجلد عنهما، وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الإفضال والإنعام، وقد سمى الله تعالى المطر رحمة فقال: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته﴾⁽⁶⁾، لأنه إفضال من الله وإنعام، فذكر الله تعالى الرأفة أولا بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم ويخفف المحن عنهم، ثم ذكر الرحمة لتكون أعم وأشمل، ولا تختص رحمته بذلك النوع، بل هو رحيم من حيث أنه دافع للمضار، التي هي الرأفة وجالب للمنافع معا.

المسألة الثانية — ذكروا في وجه تعلق هذين الاسمين بما قبلهما وجوها، أحدها: أنه تعالى لما أخبر أنه لا يضيع إيمانهم، قال: (إن الله بالناس لرؤوف رحيم)⁽⁷⁾، والرؤوف

1 - ابن الأثير: هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، العلامة مجد الدين أبو السعادات، ابن الأثير الجزري ثم الموصل، ولد سنة 544هـ، بجزيرة ابن عمر (بلدة فوق الموصل) الفقيه المحدث اللغوي البار، عالما بصناعة الحساب والإنشاء، ورعا عاقلا مهيبا، ذا بر وإحسان، توفي في آخر يوم من سنة ست وستمئة هجرية، ودفن في رباطه، من تصانيفه: كتاب النهاية في غريب الحديث، وكتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول، انظر (طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي (779هـ - 851هـ)، 392/1 - 393، رقم الترجمة (361)، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه د/ الحافظ عبد العليم خان، مؤسسة دار الندوة الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، ووفيات

2 - موسوعة: نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، 5/ دار الوسيلة ط1، 1418هـ - 1998م، جدة، وانظر النهاية لابن الأثير، 176/2.

3 - الرازي: هو فخر الدين محمد بن عمر الميمي الرازي الشافعي، ولد 544هـ، وكان فريد في عصره متكلم زمانه جمع كثير من العلوم فكان إماما في التفسير وعلوم اللغة، توفي سنة 606هـ، انظر شذرات الذهب لابن

عماد (ت: 1089هـ)، 21/5، طبعة القدسي - القاهرة، 1350هـ/1930م.

4 - القفال: هو الإمام الفقيه أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال الشافعي، وهو من علماء الجدل وأول من صنف في علم الجدل، كان إمام عصره بلا مدافعة، فقيها محدثا أصوليا لغويا شاعرا، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته، وله من الكتب كتاب الأصول، المتوفى سنة ست وثلاثين وثلاثمئة هجرية، انظر (أبجد العلوم، القنوجي، 209/2، و108/3، والفهرست، لابن النديم، ص303).

5 - النور (2)

6 - الأعراف (57)

7 - الحج (65)

الرحيم كيف يتصور منه هذه الإضاعة، وثانيها: أنه لرؤوف رحيم فلذلك ينقلكم من شرع إلى شرع آخر، وهو أصلح لكم وأنفع في الدين والدنيا⁽¹⁾.

5 - القرابة :

قال في لسان العرب: والرحم القرابة تجمع بين بني أب وبينهما رحم أي قرابة قريبة، وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾⁽²⁾ من نصب الأرحام، أراد واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ومن خفض الأرحام، أراد تساءلون به وبالأرحام، وهو قولك: ناشدتك وبالرحم.⁽³⁾

وذو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب، ويطلق في علم الفرائض على الأقارب من جهة النساء، يقال ذو رحم محرم ومحرم، وهم من لا يحل نكاحه كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة.

وقال في التوقيف: والرحم ما يشتمل على الولد من أعضاء التناسل، يكون في تخلقه من كونه نطفة إلى كونه خلقا آخر، ويقال: رحم المرأة ومنه استعير الرحم للقرابة لخروجهم من رحم واحدة.⁽⁴⁾

ويعرف الرازي الرحمة بقوله: فاعلم أن الرحمة عبارة عن التخليص من أنواع الآفات، وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات، أما التخليص عن أقسام الآفات فلا يمكن معرفته إلا بعد معرفة أقسام الآفات، وهي كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن شاء أن يقف على قليل منها فليطالع كتب الطب، حتى يقف عقله على أقسام الأسقام التي يمكن تولدها في كل واحد من الأعضاء والأجزاء، ثم يتأمل في أنه تعالى كيف هدى عقول الخلق إلى معرفة أقسام الأغذية والأدوية من المعادن والنبات والحيوان، فإنه إذا خاض في هذا الباب وجدته بحرا لا ساحل له⁽⁵⁾.

1 - التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، الشافعي (544هـ - 604هـ)، 99/4، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421هـ / 2001م.

2 - النساء من الآية (1)

3 - لسان العرب، 233/12

4 - التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، 361/1، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط1، 1410هـ/1980م.

5 - التفسير الكبير، الرازي، 18/1 - 19.

المبحث الثالث : معاني الرحمة في القرآن الكريم

للرحمة في القرآن الكريم عدة معانٍ، ويختلف معناها بحسب السياق في كل آية، وقد يكون لها أكثر من معنى في الآية الواحدة، وذلك وفقاً لقدرات كل مفسر، ونظراته وسعة فكره وتأمله في الآية، وعلى هذا الأساس سنقوم بعرض لمعاني الرحمة التي استنبطها المفسرون من آيات الرحمة في القرآن الكريم:

المطلب الأول: معنى الرحمة في القرآن الكريم

ذكر أهل التفسير أن الرحمة في القرآن الكريم على عدة وجوه منها :

1 - الرحمة بمعنى الجنة:

ومنها قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ (يرجون) معناها يطمعون، وإنما قال: يرجون بعد تلك الأوصاف المادحة التي وصفهم بها، لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة، ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ⁽²⁾. وفي آل عمران: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽³⁾، أي وأما السعداء الأبرار الذين ابيضت وجوههم بأعمالهم الصالحات، (ففي رحمة الله) أي في جنته ودار كرامته، عبر عن ذلك بالرحمة إشارة إلى أن العمل لا يستقل بدخول صاحبه الجنة، بل لا بد من الرحمة، ومنه حديث⁽⁴⁾: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ...) ⁽⁵⁾.

وفي سورة النساء: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُيِّدُخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾⁽⁶⁾، أي صدقوا بوحداية الله وتمسكوا بكتابه المنير،

1 - البقرة من الآية (218).

2 - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، 277/1، دار المعرفة - بيروت، ط3، 1417هـ / 1997م.

3 - آل عمران (107)

4 - فتح القدير، الشوكاني، 470/1، نفس المصدر.

5 - صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، أبي عبد الله البخاري الجعفي، برقم 5241، دار القلم - بيروت، 1987م.

6 - النساء (175)

(فسوف تنالهم رحمته التي تنجيهم من عقابه وتوجب لهم ثوابه ورحمته وجنته)⁽¹⁾.
وفي سورة الإسراء: ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾⁽²⁾، أي أيهم أقرب يتبغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح ويرجون رحمته جنته⁽³⁾.

وفي سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكُونُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وقيل المعنى أنهم يئأسون يوم القيامة من رحمة الله وهي الجنة⁽⁵⁾.

وفي سورة الجاثية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾⁽⁶⁾، أي فأما المؤمنون الصالحون المتقون لله في الحياة الدنيا، فيدخلهم الله في الجنة، سُميت الجنة رحمة لأنها مكان تنزل رحمة الله⁽⁷⁾.

وفي الزخرف قوله تعالى: ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾⁽⁸⁾، ورحمة ربك يعني الجنة خير للمؤمنين مما يجمعون مما يجمع الكفار من الأموال⁽⁹⁾.

2 — الرحمة بمعنى الإسلام:

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾⁽¹⁰⁾، قيل المراد بالرحمة الإسلام والهداية⁽¹¹⁾.

3 — الرحمة بمعنى الهداية:

ومنه قوله تعالى في سورة الإنسان: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾⁽¹²⁾، بالهداية والتوفيق للطاعة⁽¹⁾.

1 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 40/6، دار الفكر - بيروت، 1405هـ/1985م.

2 - الإسراء من الآية (57)

3 - معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، تحقيق: خالد العك، مروان سوار، 3/ 120، دار المعرفة - بيروت، ط2، 1407هـ / 1987م.

4 - العنكبوت (23)

5 - أنظر فتح القدير، 4/ 198.

6 - الجاثية (30).

7 - أنظر صفوة التفاسير، 77/15.

8 - الزخرف (32).

9 - معالم التنزيل، البغوي، 4/ 138.

10 - البقرة (105).

11 - أنظر معالم التنزيل للبغوي، 103/1.

12 - الإنسان (31).

4 — الرحمة بمعنى الإيمان:

ومنه قوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾⁽²⁾، وقيل الرحمة هي على الخلق وقيل هي الهداية إلى معرفة البرهان وقيل الإيمان⁽³⁾.

5 — الرحمة بمعنى النبوة :

ومنه قوله تعالى في الزخرف: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾⁽⁴⁾، يعني النبوة⁽⁵⁾. وفي سورة ص: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾⁽⁶⁾، أي مفاتيح نعم ربك وهي النبوة، وما هو دونها من النعم، حتى يعطوها من شاءوا، فما لهم ولإنكار ما تفضل الله به على هذا النبي واختاره له واصطفاه لرسالته⁽⁷⁾. وقوله تعالى في البقرة: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾⁽⁸⁾، معناها يختص بنبوته من يشاء ممن أخبر عز وجل أنه مصطفى مختاراً⁽⁹⁾. ومنها قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾⁽¹⁰⁾، (وآتاني منه) أي من جهته، (رحمة) أي نبوة⁽¹¹⁾.

6 — الرحمة بمعنى القرآن:

ومنه قوله تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾⁽¹²⁾، وروى عن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة أن فضل الله الإيمان ورحمته القرآن⁽¹³⁾.

- 1 - أنظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، البيضاء، تحقيق: عبد القادر عرفات، العشاحسونة، 431/5، دار الفكر - بيروت، 1416هـ / 1996م.
- 2 - هود (28).
- 3 - أنظر فتح القدير، للشوكاني، 494/2.
- 4 - الزخرف (32).
- 5 - أنظر معالم التنزيل، للبغوي، 138 / 4.
- 6 - سورة ص (9).
- 7 - فتح القدير، للشوكاني، 421/4.
- 8 - البقرة (105).
- 9 - لسان العرب ج 12 ص 230.
- 10 - هود (63).
- 11 - أنظر فتح القدير، للشوكاني، 508/2.
- 12 - يونس (58).
- 13 - فتح القدير، للشوكاني، 453/2.

وفي سورة الإسراء: ﴿وُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾⁽¹⁾، ومعناه ونزل من القرآن ما هو كله شفاء، أي بيان من الضلالة والجهالة، يتبين به المختلف ويتضح به المشكل، ويستشفى به من الشبهة، ويهتدى به من الحيرة، وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها، (ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)، لأن الظالم لا ينتفع به، والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له⁽²⁾.

7 — الرحمة بمعنى المطر :

قال الإمام الرازي: وقد سمي الله تعالى المطر رحمة⁽³⁾ فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾⁽⁴⁾، وفي معالم التنزيل: (بين يدي رحمته) أي قدام المطر⁽⁵⁾. وفي سورة الروم: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾⁽⁶⁾، إلى آثار رحمة الله على الجمع أراد برحمة الله المطر أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض⁽⁷⁾. وفي سورة الروم كذلك: ﴿وَلْيُذَيِّقْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾⁽⁸⁾، ليذيقكم من رحمته يعني الغيث⁽⁹⁾.

8 — الرحمة بمعنى الرزق :

ومنه قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾⁽¹⁰⁾، وخزائن رحمته سبحانه هي خزائن الأرزاق قال الزجاج⁽¹¹⁾: أعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحاً وبخلاً

1 - الإسراء (82).

2 - أنظر معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، أبو محمد (ت: 516هـ)، 133/3، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد العك - مروان سوار، ط2، 1407هـ/ 1987م.

3 - التفسير الكبير، الرازي، 99/4.

4 - الأعراف (57).

5 - أنظر معالم التنزيل، للبغوي، 167/2.

6 - الروم من الآية (50)

7 - انظر إلى معالم التنزيل، للبغوي، 483/3.

8 - الروم (46).

9 - فتح القدير، الشوكاني، 229/4.

10 - الإسراء (100).

11 - الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، ولد ببغداد سنة 241هـ، كان يخرج الزجاج ثم مال إلى النحو، فعلمه المبرد، وهو معلم أولاد المعتضد، له من الكتب: كتاب ما فسرته من جامع النطق الذي كان سبباً في اتصاله بالمعتضد، وكما قال عنه محمد بن إسحاق: (وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة)، وكتب أخرى كمعاني القرآن، الإشتقاق، القوافي، العروض، الفرق، خلق الإنسان، خلق الفرس، مختصر النحو، فعلت وافتعلت، ما ينصرف وما لا ينصرف، شرح أبيات سيبويه النواذر، توفي رحمه الله يوم الجمعة 19 جمادي الآخرة سنة 310هـ، انظر (الفهرست، لابن النديم، ص ، الباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير عز الدين أبي=الحسن علي بن محمد بن الأثير الجوزي، (ت: 630هـ)، 62/2، دار صادر - بيروت، وطبقات النحويين

وهو خشية الإنفاق أي خشية أن ينفقوا فيفتقروا⁽¹⁾.
وفي سورة الكهف: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾⁽²⁾، والتنوين في رحمة إما للتعظيم أو للتنويع، وتقديم من لندك للاختصاص، أي رحمة مختصة بأنها من خزائن رحمتك، وهي المغفرة في الآخرة والأمن من الأعداء والرزق في الدنيا⁽³⁾.

وفي سورة الكهف كذلك: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾⁽⁴⁾، ييسر الرزق لكم ويوسع عليكم⁽⁵⁾.

9 — الرحمة بمعنى النعمة:

وفي سورة الكهف: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁽⁶⁾، قيل الرحمة هي النبوة، وقيل النعمة التي أنعم الله بها عليه⁽⁷⁾، والأرجح النعمة، لأنه لو قلنا النبوة لعددنا الخضر من الأنبياء.

10 — الرحمة بمعنى العافية:

قوله تعالى في الزمر: ﴿أَوَأَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾⁽⁸⁾، أو أراذني برحمة يقول إن أراذني ربي أن يصيبني سعة في معيشتي وكثرة مالي ورخاء وعافية في بدني⁽⁹⁾.

11 — الرحمة بمعنى النصر:

واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص111 - 112، دار المعارف - القاهرة ط2، والأعلام 40/1، ومعجم الأدباء لياقوت، 45/1، دار الفكر - بيروت، ط2، بدون سنة، وإنشاء الرواة على أنباء النحاة، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم 159/1، دار الفكر العربي - القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ط1، 1406هـ/1986م.

1 - فتح القدير، الشوكاني، 261/3.

2 - الكهف (10).

3 - فتح القدير، الشوكاني، 272/3.

4 - الكهف من الآية (16).

5 - تفسير البيضاوي 482/3.

6 - الكهف (65).

7 - فتح القدير، للشوكاني، 299/3.

8 - الزمر (38).

9 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد خالد الطبري، أبو جعفر، 7/24، دار الفكر - بيروت، 1405هـ - 1905م.

ومنه قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾⁽¹⁾، أو أراد بكم رحمة أي: خيرا ونصرا وعافية⁽²⁾.

12 – الرحمة بمعنى المنّة:

ومنه قوله تعالى في سورة القصص : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾⁽³⁾،

وفي قوله تعالى: (ولكن رحمة من ربك) أي ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره، لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس، وقيل: علمناك، وقيل: عرفناك ذلك وليس بذلك كما ستعرفه، والالتفات إلى اسم الرب، للإشعار بعلّة الرحمة، وتشريفه بالإضافة⁽⁴⁾، وهذه منّة يمنها الله على نبيه. وقال في المحرر الوجيز: ولكن أعلمناك ونبأناك رحمة منا لك وإفضالا⁽⁵⁾.

وفي معالم التنزيل: ولكن رحمناك رحمة بإرسالك، وبالوحي إليك، وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك⁽⁶⁾، وهذه من المنّة التي منّها الله سبحانه على رسوله محمد ﷺ.

13 – الرحمة بمعنى الرقة والمودة والشفقة:

ومنه في سورة الحديد : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾⁽⁷⁾، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه رأفة وهي: أشد الرقة، ورحمة كانوا متوادين بعضهم لبعض كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾⁽⁸⁾، وقال في فتح القدير: والرحمة الشفقة⁽⁹⁾.

14 – الرحمة بمعنى المغفرة :

- 1 - الأحزاب (17).
- 2 - الجامع لأحكام القرآن، محمد أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، أبو عبد الله، تحقيق: أحمد عبد العليم اليردوني، 381/5، دار الشعب - القاهرة، ط2، 1372هـ/ 1962م.
- 3 - القصص (46).
- 4 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، 16/17، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 5 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: 546هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، 290/4، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1413هـ/ 1993م.
- 6 - معالم التنزيل، للبغوي، 448/3.
- 7 - الحديد (27).
- 8 - الفتح 29، و أنظر معالم التنزيل، للبغوي، 300/4.
- 9 - فتح القدير، للشوكاني، 178/5.

ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾⁽¹⁾، قيل هذا من جملة ما أمره الله سبحانه بإبلاغه إلى أولئك الذين أمره بإبلاغ السلام إليهم تبشيرا بسعة مغفرة الله وعظيم رحمته⁽²⁾.

15 – الرحمة بمعنى السعة واليسير :

ومنه قول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾⁽³⁾، (تخفيف من ربكم ورحمة) فإنه كان في التوراة القتل لا غير، وفي الإنجيل العفو بغير بدل لا غير، وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا⁽⁴⁾.

16 – الرحمة بمعنى العصمة:

ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾⁽⁵⁾، أن نبهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة⁽⁶⁾.
ومنه قوله تعالى في يوسف : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾⁽⁷⁾، أي إلا من رحم ربي فعصمه⁽⁸⁾.

17 – الرحمة بمعنى الشمس :

ومنه قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَكِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁽⁹⁾، قيل ظهور الشمس بعد المطر⁽¹⁰⁾ ذكره المهدوي⁽¹¹⁾، وقال في المحرر الوجيز: قالت فرقة الرحمة في هذا الموضع الشمس⁽¹⁾.

1 - الأنعام (54)

2 - أنظر فتح القدير، للشوكانى، 120/2.

3 - البقرة (178).

4 - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 88/1.

5 - النساء (113).

6 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 381/5.

7 - يوسف (53).

8 - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 210/9.

9 - الشورى (28).

10 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 29/16، وأنظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص 331، 142، باب الرحمة.

11 - المهدوي: هو أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي، العالم الفاضل، المقرئ من أهل المهدية، رحل وأخذ عن أبي الحسين القابسي وقرأ بالروايات على أبي عبد الله محمد بن سفيان وأبي بكر أحمد بن محمد الميراثي، صنف التفصيل الجامع لعلوم التنزيل وهو تفسير بالقول، من أكبر التفاسير وأشرفها، جليل القدر والشأن في علم

18 – الرحمة بمعنى الشفاعة:

ومنه قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ، يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾، إلا من رحم الله قال ابن عباس⁽³⁾ رضي الله عنهما: يريد المؤمن فإنه تشفع له الأنبياء والملائكة⁽⁴⁾، وقال أبو السعود: إلا من رحم الله بالعفو عنه، وقبول الشفاعة في حقه، إنه هو العزيز الذي لا ينصر من أراد تعذيبه، الرحيم لمن أراد أن يرحمه⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: بعض الألفاظ التي تحمل معنى الرحمة في القرآن الكريم

وذكر بعض العلماء أن الرحمة تحمل هذه المعاني: السكينة والحنان والصلاة والرأفة والهدى والمحبة والروح.

1 – السكينة بمعنى الرحمة: قال الضحاك⁽⁶⁾ : السكينة الرحمة.⁽⁷⁾

في قوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾⁽¹⁾ عن ابن عباس قال: السكينة الرحمة⁽²⁾.

التفسير أولاً، له كتاب النظم الكريم في بما ورد في أصح الأقوال المتضمنة للآثار الشريفة، ثم بعد ذلك أعرب ما ينبغي إعرابه، وذكر أوجه القراءات وما ينبغي لكل وجه من = أوجهها في الإعراب، وهو صاحب التفسير كان مقدماً في القراءات والعربية، أخذ عنه أبو محمد غانم بن وليد المالقي، مات في حدود سنة ثلاثين وأربع مائة هجرية، أنظر طبقات المفسرين للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (849هـ - 911هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، 30/1، ترجمة 9، مكتبة وهبة - القاهرة، ط1، 1396هـ/1976م، وانظر طبقات المفسرين للداودي، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزري، 111/1، ترجمة 146، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط1، 1417هـ/1997م، ومعرفة القراء الكبار، الذهبي، محمد بن محمد بن عثمان بن قايماز، أبو عبد الله (673هـ - 748هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، 399/1، رقم: 338، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1404هـ/1984م.

1 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الأندلسي، 36/5.

2 - الدخان (40 - 42).

3 - ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول ﷺ من ألقابه الحبر والبحر في التفسير، وكان ترجمان القرآن، قال الذهبي روي أنه لم يكن على وجه الأرض في زمانه أحد أعلم منه، قرأ عليه مجاهد وسعيد بن جبير والأعرج وعكرمة، توفي بالطائف 68هـ، وصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: اليوم مات باني العلم، وقد كف بصره في أواخر عمره، انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي)، المتوفى سنة 748هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، 331/3 - 359، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1400هـ/1981م، والأعلام، للزركلي، 95/4، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي، بهامش الإصابة، 25/1.

4 - التفسير الكبير، الرازي، 215/27.

5 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، 65/8.

6 - الضحاك: بن مزاحم الهلالي الخرساني البلخي، صاحب التفسير، كان عالماً مؤدباً، قال الذهبي: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي يطوف عليهم على حمار، أخذ التفسير عن سعيد بن جبير، مات بخمران سنة اثنتين ومائة هجرية، وقيل خمسة وقيل ستة، انظر (ميزان الاعتدال الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، 325/2 = 326)، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط1، 1382هـ/1963م، وطبقات المفسرين للداودي، 10/1، ترجمة: 14.

7 - معاني القرآن الكريم، أبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، 250/1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ / 1989م.

2 — الحنان بمعنى الرحمة:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾⁽³⁾، وحنانا من لدنا أي إنما آتيناه الحكم صبيا حنانا من لدنا عليه أي رحمة عليه⁽⁴⁾.

وقال في أضواء البيان: أي وآتيناه حنانا من لدنا، والحنان: هو ما جُبِلَ عليه من الرحمة والعطف والشفقة، وإطلاق الحنان على الرحمة والعطف مشهور في كلام العرب⁽⁵⁾.

و في مختار الصحاح في باب : (ح ن ن) الحنين الشوق وتوقان النفس، وقد حنَّ إليه يحن بالكسر حنيئا، فهو حان و الحنان الرحمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾⁽⁶⁾، و الحنان بالتشديد ذو الرحمة، و تحنن عليه ترحَّم، والعرب تقول: حنانك يا رب و حنانيك يا رب، بمعنى واحد أي رحمتك⁽⁷⁾.

3 — الصلاة بمعنى الرحمة:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾⁽⁸⁾، وأشهر الأقوال أن الصلاة من الله تعالى بمعنى الرحمة والمغفرة، وأما صلاة الملائكة بمعنى الاستغفار للمؤمنين، وذكر الحسن

1 - البقرة (248).

2 - الدر المنثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، 757/1، دار الفكر - بيروت، ط1، 1403هـ/1983م

3 - مريم (13).

4 - التفسير الكبير، الرازي، 164/21

5 - ومنه قولهم: حنانك وحنانيك يا رب بمعنى رحمتك، ومن هذا المعنى قول امرئ القيس:

أبنت الحارث الملك بن عمرو * له ملك العراق إلى عمان

ويمنحها بنو شمجي بن جرم * معيهم حنانك ذا الحنان.

يعني رحمتك يا رحمن وقول طرفة بن العبد يعني رحمتك يا رحمن، وقول طرفة بن العبد:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض.

وقول منذر بن درهم الكلبي:

وأحدث عهد من أمينة نظرة * على جانب العلياء إذ أنا واقف

فقال حنان ما أتى بك ها هنا * أذو نسب أم أنت بالحي عارف.

فقوله حنان أي أمري حنان أي رحمة لك وعطف وشفقة عليك.

أضواء البيان - الشنقيطي ج3/ص380

وقول الحطينة أو غيره: تحنن على هداك المليك * فإن لكل مقام مقالا، انظر (أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد بن

المختار الجكني الشنقيطي، (ت: 1393هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، 379/3-380، دار الفكر

للطباعة - بيروت، 1415هـ/1995م).

6 - مريم (13).

7 - انظر مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، (ت: 721)، تحقيق: محمود خاطر، 67/1، مكتبة

لبنان ناشرون - بيروت، طبعة جديدة، 1415هـ/1995م.

8 - الأحزاب (43).

البصري: أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: أيصلي ربك فذكر موسى ذلك لله تعالى فقال الله تعالى: (إني أصلي وصلواتي أن رحمتي سبقت غضبي)⁽¹⁾.

4 — الرأفة بمعنى شدة الرحمة:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾، والرؤوف بمعنى الرحيم هذا قول الزجاج، وذكر الخطابي⁽³⁾ عن بعض أهل العلم: أن الرأفة أبلغ من الرحمة وأرقها، قال: ويقال: الرأفة أخص، والرحمة أعم⁽⁴⁾. قال المناوي⁽⁵⁾: الرأفة ألطف الرحمة وأبلغها، فالمرؤوف به تقيمه عناية الرأفة حتى تحفظ بمسراها في سره ظهور ما يستدعي العفو، وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة، وتارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب، وهذا خاص بمن له بالمنعم نوع وصلة، ذكره الحارلي في موضع، وقال في آخر: الرأفة عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة، فهي رحمة ذي الصلة بالراحم، تعم من لا صلة له بالرحم⁽⁶⁾. وقال في التسهيل: رؤف من الرأفة وهي الرحمة، إلا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل، فهي أعم من الرأفة⁽⁷⁾.

5 — الهدى بمعنى الرحمة:

- 1 - تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، (426هـ - 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، 292/4، دار الوطن - الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ/1997م.
- 2 - البقرة (من الآية 143).
- 3 - الخطابي: هو عبد الله بن محمد بن حرب الخطاب، من النحويين الكوفيين، ويعرف بالخطابي، وله من الكتب: النحو الكبير، النحو الصغير، المكنم في النحو، عمود النحو فصوله. (الفهرست لابن النديم، ص 105 - 106).
- 4 - زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، 156/1، المكتب الإسلامي - بيروت، ط3، 1404هـ / 1984م.
- 5 - المناوي: هو محمد بن عبد الرؤوف المناوي، العالم الفاضل، قد خرج الأحاديث التي أوردها الإمام البيضاوي، وكانت وفاته في سنة تسع وعشرين وألف، أنظر (طبقات المفسرين - الداودي 413/1، ترجمة رقم: 568).
- 6 - التعريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، (992هـ - 1031هـ)، تحقيق: د/ إبراهيم رضوان الدايدة، 353/1، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.
- 7 - التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبى، (ت: 741هـ)، 20/1، ط4، دار الكتاب العربي - لبنان، 1403هـ/1983م.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾، في الهدى هاهنا أربعة أقوال أحدها أنه بمعنى القبله فتقدير وقبله العالمين، والثاني أنه بمعنى الرحمة، والثالث أنه بمعنى الصلاح، لأنه من قصده صلحت حاله عند ربه، الرابع أنه بمعنى البيان.⁽²⁾

6 — المحبة بمعنى الرحمة:

نقل عن قتادة في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾⁽³⁾، تحبونهم أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد،⁽⁴⁾ ومعنى الكلام ها أنتم يا هؤلاء فأما تحبونهم فالهاء والميم عائدة إلى الذين هموا عن مصافاتهم، وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال منها هذا القول..

7 — الروح بمعنى الرحمة:

وورد في معنى قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾⁽⁵⁾، أن الروح الرحمة فمعناه ورحمة منه.⁽⁶⁾

وبهذا القدر نكون قد ألمنا إلمامة سريعة بلفظ كلمة الرحمة، من الناحية اللغوية ومن ناحية مدلولها اللغوي، فالرحمة في حقيقتها كلمة رقيقة تحمل معنى الرقة والعطف والشفقة والإحسان والرأفة والتلطف والحنان والقراءة أو القربة.

والرحمة ليست عارضا متوهما، بل هي إحساس وشعور في الوجدان، تشعر وتحس بها في نفسك، تكاد تلمسها، بادية لعيناك تكاد تراها حقيقة وواقعا، فهذه المعرفة بها كمال الإنسان.

وتأمل وصف النبي ﷺ القلب بالركة⁽¹⁾: التي هي ضد القساوة والغلظة، ووصف الفؤاد: باللين الذي هو ضد اليبس والقسوة، فإذا اجتمع لين الفؤاد إلى رقة القلب، حصل

1 - آل عمران (96).

2 - زاد المسير عبد الرحمن الجوزي، 426/1.

3 - آل عمران 119.

4 - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، 447/1.

5 - النساء (171).

6 - أنظر زاد المسير، ابن الجوزي، 261/2، القول الرابع لكلمة الروح.

من ذلك الرحمة والشفقة والإحسان ومعرفة الحق وقبوله، فإن اللين موجب القبول والفهم، والرفقة تقتضي الرحمة والشفقة، وهذا هو العلم والرحمة، وبهما كمال الإنسان، وربنا وسع كل شيء رحمة وعلماً⁽²⁾.

فإذا لم يجد أحدنا هذا الشعور، فليعلم أنه محروم من الرحمة، وعليه أن يبادر إلى إيجاده في نفسه، ومن حوله بسلوكه وخلقه، كالرحمة بالأبناء، عن أبي هريرة⁽³⁾ رضي الله عنه أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُقْبَلُ حُسَيْنًا فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا فَعَلْتُ هَذَا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ).⁽⁴⁾

فغلظة القلب، والجفاء والقسوة في المعاملة، تعني عدم الإحساس بما يعنيه و يعانيه الآخرين، فلا يقدر بذلك أحدا ولا يأبه لأحد، ولا يُعبر إهتماماً بأحد، ولا تهمه إلا نفسه، إنما تعني الأنانية والحسد، وهي دليل على أن هذا الصنف متزوع من قبله الرحمة، بل حُرْم خيراً كثيراً، وقد حُرْم تلك النعمة وتلك السعادة، وذلك النور الذي ينير له الطريق في حياته الجديدة، التي سيحيها من بعد ممات، ومن ضيق إلى سعة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁵⁾.

فليست الرحمة كلمات مجردة المعاني، عقيمة الثمار، اجتثت جذورها من أصولها، فالرحمة إحساس وشعور، ينبغي أن يتصف بها العباد، قال في الكافية: (وأما رحمة العباد فرقة في القلب، إذا وجدها الراحم من نفسه انعطف على المرحوم وأثنى عليه، ورحمة الله للعباد جوّد وفضل)⁽⁶⁾، ولن يجدها إلا من تخلّق بخلق القرآن، واقتدى بالرسول ﷺ في

1 - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوباً وألين أفئدة ...) رواه البخاري في كتاب المغازي برقم 4037. صحيح البخاري، الإمام البخاري، تحقيق الدكتور/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة 1987م

2 - التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، 239/1، دار الفكر - بيروت،

3 - أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، صحابي جليل، من رواة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي بالمدينة عام 57هـ، من شيوخه أبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وحسان بن ثابت، ومن تلاميذه إبراهيم بن اسماعيل رضي الله عنهم أجمعين، انظر حلية الأولياء 376/1، مكتبة الخانجي - مصر، والأعلام 308/3، وسير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط 578/2، وصفة الصفوة لابن الجوزي 296/1 - 297.

4 - سنن أبي داود، أبي داود، كتاب الأدب برقم 4541.

5 - الحديد (28)

6 - الكافية الشافية للإنتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، 22/1 المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق/ زهير الشاويش، ط3، 1406هـ/ 1986م.

خُلِقَ وسيرته العطرة، قال تعالى: ﴿وَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽¹⁾، فالرحمة هنا مرهونة بإقامة الصلاة وإتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ، وقسوة القلب تحجب صاحبها عن الرحمة، وقد جعل الرسول ﷺ لهذا المرض — قسوة القلب — علاجاً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا شَكَأَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: (إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمَسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ)⁽²⁾.

إذن فمفهوم الرحمة مفهوم شامل، يشمل الأمور الروحية: من السكينة وهي الثبات والطمأنينة، والحنان وهي العطف في القلب، والصلاة والرأفة والهدى والمحبة والروح، وهي تعني كذلك نعم الله وجوده وفضله على العباد: كالجنة، والإسلام، والإيمان، والنبوة، والقرآن، والمطر، والرزق، والنعمة والعافية، والنصر والمنّة، وهي كذلك مغمورة بالمغفرة والسعة والمودة والعصمة، فتلك هي الرحمة بمفهومها الشامل والواسع، وبمعناها الحقيقي.

وورد في التفسير الكبير قول القفال: وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام وقد سمى الله تعالى المطر رحمة، فقال: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته﴾⁽³⁾ لأنه إفضال من الله وإنعام⁽⁴⁾، ومن ذلك الإفضال والإنعام، الشمس والشفاعة يوم القيامة.

1 - النور (56).

2 - مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، برقم: 7260، انفرد به أحمد.

3 - الأعراف (57)

4 - التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 99/4، وهو قول القفال.

المبحث الرابع : معنى الرحمن الرحيم

المطلب الأول : الله الرحمن الرحيم

فالرحمة من صفات الله تعالى، فجعل الله سبحانه وتعالى من أسمائه الحسنی الرحمن الرحيم، وجعلها دياحة لكل سورة من سور القرآن، تبدأ بها السورة ليشعر كل ما فيها رحمة، وأنها من الرحمن الرحيم، وأن هذا القرآن ما أنزله الله سبحانه لنشقى به ونلقى التعاسة، بل هو ذكرى لمن يخشى من الرحمن الرحيم، وهو إلى ذلك قَسَمَ من الله سبحانه وتعالى بأنه حق، وأنه يفي لك بما فيها من بر ورحم، فالعلاقة بين العبد وربّه مبنية على أساس من الرحمة، إنها الصلة المبنية على الطمأنينة والمودة، أنك تحس برقة أو رفقة وأنت تتلوها بلسانك وقلبك وجميع جوارحك، إنك تمجد الله وتجله في نفس الوقت، وتعظمه عز وجل، لأنه المستحق حقا للعبادة سبحانه وتعالى.

وإن العبد إذا ذكر الله وحده ثم ذكر صفاته، فإن كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال يجد في نفسه حاملا لا يقدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته، بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة به في المهمات⁽¹⁾.

قال القرطبي⁽²⁾: فأما الرحمن الرحيم فهما اسمان رقيقان وأحدهما أرق من الآخر، والرحمن يختص بالله سبحانه وتعالى، ولا يجوز إطلاقه في غيره، (قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ

1 - أنظر إتيان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، محمد بن محمد بن محمد الغزي، 231/2، الفاروق الحديثة - القاهرة، تحقيق/ خليل محمد العربي، ط1، 1415هـ/ 1995م.

2 - القرطبي: هو الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري القرطبي، الخزرجي المالكي، وهو الإمام المفسر، المتوفى سنة 668 هجرية، وقيل 671 هـ، انظر (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون الجزء 12، وشذرات الذهب 335/5).

مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ⁽¹⁾، فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة جل وعز⁽²⁾، وقال بعض أهل التفسير: الرحمن الذي رحم كافة خلقه، بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم، والرحيم خاص في رحمته لعباده المؤمنين، بأن هداهم إلى الإيمان وهو يشيهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع⁽³⁾. فالرحمن بخلقهم عامة، والرحيم بالمؤمنين خاصة، (أما الرحمن فالعاطف على البر والفاجر من خلقه، وأما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصة)⁽⁴⁾.

وذكر القرطبي في تفسيره: قال سعيد بن جبير⁽⁵⁾: الرحمن فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسما من أسماء الله تعالى (الر) و (حم) و (ن) فيكون مجموع هذه السور الرحمن⁽⁶⁾. وبنيت الصفة الأولى — الرحمن — على فعلا ن في أن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين، فأما الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمن مقصور على الله عز وجل، والرحيم قد يكون لغيره.

ورحيم فعيل بمعنى فاعل، كما قالوا سميع بمعنى سامع، وقدير بمعنى قادر، وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم، قال الأزهري: ولا يجوز أن يقال رحمن إلا عز وجل، وفعلا ن من أبنية ما يبالغ في وصفه فالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فلا يجوز أن يقال رحمن لغير الله⁽⁷⁾.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العاطف على خلقه بالرزق، ((أي أكثر رحمة، قال الخطابي: وهذا مشكل لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات الله تعالى، لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى في شيء، وإنما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، والرفق من صفات الله عز وجل،

1 - الزخرف (45).

2 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 106/1

3 - تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، 1/ 28، دار الثقافة العربية - دمشق، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، 1394 هـ / 1974 م.

4 - أنظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي 107/1

5 - سعيد بن جبير: هو أبو عبد الله الكوفي، سعيد بن جبير الأسدي ولاء، تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، من موالى بني ولبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وابن عمر، قتله الحجاج سنة 95 هجرية، انظر (طبقات المفسرين للداودي 374/1، والأعلام لزركلي، 93/3).

6 - انظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي 152/17

7 - لسان العرب، ابن منظور، 12/ 230-231.

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)⁽¹⁾.

والرحمن اسم ممتنع لا يسمى غير الله به، وقد يقال رجل رحيم، والرحمن الرحيم إسمان مشتقان من الرحمة.⁽²⁾

وقال علي بن أبي طالب⁽³⁾ رضي الله عنه: الرحمن الرحيم اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فنفي الله بهما القنوط عن المؤمنين من عباده.⁽⁴⁾

فأما الرحمن فإنه أبلغ من الرحيم، فالرحيم يشعر باللطف والرفق، كما أن الرحمن مشعر بالفخامة والعظمة⁽⁵⁾، فهو مع ذلك، فهو الرحمن بجميع خلقه، في الأمطار، ونعم الحواس، والنعم العامة، و الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم، قال ابن المبارك⁽⁶⁾: الرحمن إذا سئل أعطى و الرحيم إذا لم يسأل غضب.

وأما الرحمن فهو عون لكل من آمن به، وهو اسم لم يسم به غيره وأما الرحيم فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً⁽⁷⁾.

وقال في الجامع لأحكام القرآن في قوله تعالى : (الرحمن الرحيم) وصف نفسه تعالى بعد رب العالمين، بأنه الرحمن الرحيم، لأنه لما كان اتصافه برب العلمين ترهيب، قرنه

1 - صحيح مسلم ، مسلم، كتاب البر والصلة، برقم: 4697، وأنظر تفسير القرطبي 1/ 106

2 - أنظر لسان العرب 12/ 230- 231

3 - علي بن أبي طالب: هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة ولد بمكة قبل البعثة بعشر سنين، أسلم وهو ابن ثلاث عشر سنة، اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (اللهم اهد قلبه وسدد لسانه)، فكان أعلم الناس بالسنة، ببيع بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ومكث خليفة للمسلمين أربع سنين وتسع أشهر، توفي بالكوفة ليلة السابع عشر من شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة، قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، وهو خارج من المسجد، وعمره ثمان وخمسون سنة، انظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير الجزري(ت:630هـ)، تحقيق وتعليق: محمد ابراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الفكر - بيروت، 1398هـ/1978م، وأنظر معرفة القراء الكبار، محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، أبو عبد الله (673هـ - 748هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، 25/1-26، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1404هـ/1984م).

4 - أنظر مناهل العرفان، 62/2

5 - أنظر إتيان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، للغزي، 2/ 237.

6 - ابن المبارك: هو عبد الله بن المبارك بن واضح الإمام الحافظ العلامة شيخ الاسلام، أبو عبد الرحمن، التركي الأب، الخوارزمي الأم، ولد سنة (118هـ)، كان يغزو عاما ويحج عاما ومعه قافلة من الحجاج على نفقته، توفي بهيت منصرفا من الغزو سنة 181هـ، وله من الكتب السنن في الفقه، التفسير، التاريخ، الزهد، البر وصلة الرحم، انظر (الفهرست لابن النديم، ص313، وطبقات علماء الحديث، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالح، 165/2، مؤسسة الرسالة - بيروت، وسير أعلام النبلاء، 405/8، وتاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.

7 - تفسير القرطبي 1/ 105 إلى 107.

بالرحمن الرحيم، لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع⁽¹⁾، كما قال جل شأنه: ﴿تَبَيَّنْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁽³⁾، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِحَتِّهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)⁽⁴⁾.

وقال الرازي في ذكر الرحمن الرحيم بعد رب العالمين: فهذا القادر القاهر الغني يكون في غاية العظمة والجلال، وحينئذ يقع في قلب العبد: أي مع نهاية ذلتي وحقارتي كيف يمكنني أن أتقرب إليه؟ وبأي طريق أتوسل إليه؟ فعند هذا ذكر الله ما يجري مجرى العلاج الموافق لهذا المرض، فكأنه قال: أيها العبد الضعيف أنا وإن كنت عظيم القدرة والهيبة والإلهية، إلا أنني مع ذلك عظيم الرحمة، فأنا الرحمن الرحيم، وأنا مالك يوم الدين، فما دُمت في هذه الحياة الدنيا لا أحليك عن أقسام رحمتي، وأنواع نعمتي، وإذا مت فأنا مالك يوم الدين، لا أضيع عملاً من أعمالك، فإن أتيتني بالخير، قابلت الخير الواحد بما لا نهاية له من الخيرات، وإن أتيتني بالمعصية، قابلتها بالصفح والإحسان والمغفرة⁽⁵⁾.

وجاء في تفسير الظلال: ووصفه — سبحانه — في البدء بالرحمن الرحيم، يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها... وهو المختص وحده باجتماع هاتين الصفتين، كما أنه المختص وحده بصفة الرحمن، فمن الجائز أن يوصف عبد من عباده بأنه رحيم، ولكن من الممتنع من الناحية الإيمانية أن يوصف عبد من عباده بأنه رحمن، ومن باب أولى أن تجتمع له الصفتان...

وإذا كان البدء بإسم الله، وما ينطوي عليه من توحيد الله وأدب معه، يمثل الكلية الأولى في التصور الإسلامي... فإن استغراق معان الرحمة وحالاتها ومجالاتها في الرحمن الرحيم، يمثل الكلية الثانية في التصور، ويقرر حقيقة العلاقة بين الله والعباد.

1 - تفسير القرطبي 105/1 إلى 107.

2 - الحجر (50).

3 - غافر (3).

4 - صحيح مسلم، مسلم، برقم 4948.

5 - التفسير الكبير، الرازي، 153/1.

فتقرير لفظي: الرحمن الرحيم .. هاتان الصفتان اللتان تجمعان كل معاني الرحمة، بأوصافها المتعددة، وتكرر في القرآن الكريم، وتبدأ بها كل سورة في آية مستقلة، إنها — كما يقول سيد قطب — (لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة، ولتثبت قوائم الصلة الدائمة بين الرب ومربوبيه، وبين الخالق ومخلوقاته... إنها صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء، إنها الصلة التي تقوم على الطمأنينة وتنفض بالمودّة، فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية)⁽¹⁾.

وقال في التيسير: (الرحمن الرحيم)، اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبياؤه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها، واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته⁽²⁾.

وقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾، قال في أضواء البيان: هما وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنی، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، قال ابن كثير: (وفي كلام بن جرير ما يفهم منه حكاية الإتفاق على هذا، وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك كما تقدم في الأثر عن عيسى عليه السلام أنه قال: والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة)⁽⁴⁾، وقال في أضواء البيان: وقد أشار تعالى إلى هذا الذي ذكرنا حيث قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾⁽⁵⁾، وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾⁽⁶⁾، فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، قاله ابن كثير ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا

1 - انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 20-21-24، دار الشروق - بيروت، ط6، 1410هـ/1990م.

2 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 39/1.

3 - الفاتحة (3).

4 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 21/1.

5 - الفرقان (59).

6 - طه (5).

إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ⁽¹⁾، أي ومن رحمانيته لطفه بالطير وإمساكه إياها صافات وقابضات في جو السماء، ومن أظهر الأدلة في ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عِلْمُ الْقُرْءَانِ﴾⁽²⁾، إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾⁽⁴⁾، فخصهم باسمه الرحيم...

والدليل على أنه رحيم بالمؤمنين في الدنيا أيضا أن ذلك هو ظاهر قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾⁽⁵⁾، لأن صلاته عليهم وصلاة ملائكته، وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور رحمة بهم في الدنيا، وإن كانت سبب الرحمة في الآخرة أيضا، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁶⁾، فإنه جاء فيه بالباء المتعلقة بالرحيم الجارة للضمير الواقع على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وتوبته عليهم رحمة في الدنيا وإن كانت سبب رحمة الآخرة أيضا، والعلم عند الله تعالى⁽⁷⁾.

فالرحمة هي السمة السائدة في أسماء الله تعالى وصفاته، فمن صفات الله : الرحمن الرحيم.. فمن رحمته الواسعة بخلقه، تشمل كل تشريع وتكليف أنزله على رسوله محمد ﷺ، والكون كله يشهد بهذه الرحمة في كل مجالاتها.

وإذا كانت صفة الرحمة هي السائدة، فلا يعني ذلك أن نستهيئ بكل ما يغضب الله عز وجل، وإذا كان الله سبحانه وتعالى رحمان رحيم، رحيم بالمؤمنين خاصة، فلا ينسيهم في نفس الوقت أنه عز وجل شديد العقاب، لمن أصر على المعاصي، أو الذنوب بحجة أن الله رحيم به، نعم إن الله رحيم، عندما يتوب العبد ويعود إليه بالندم والاستغفار، قال تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁸⁾.

1 - الملك (19).

2 - الرحمن (1-2).

3 - الرحمن (13).

4 - الأحزاب (43).

5 - الأحزاب (43).

6 - التوبة (117).

7 - انظر أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، (ت: 1393هـ)، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، 5/1 - 6، دار الفكر للطباعة - بيروت، 1415هـ/1995م.

8 - المائدة (98).

فإذا عرف العبد ربه وأنه المتصف بالرحمة العظيمة، وأن رحمته عمت كل شيء وبرحمته حصلت له كل النعم، عرف أنه المستحق وحده للعبادة، فيفرده بالخوف والرجاء والتعظيم، قال تعالى: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾، قال في التيسير: يخبر تعالى - وهو أصدق القائلين - أنه إله واحد أي متوحد منفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو ولا مثل ولا نظير، ولا خالق ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه، لأنه الرحمن الرحيم المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء، وعت كل حي، فبرحمته وجدت المخلوقات، وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحمته اندفع عنها كل نقمة، وبرحمته عرف عباده نفسه بصفاته وآلائه، وبين لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة فمن الله، وأن أحدا من المخلوقين لا ينفع أحدا، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالحببة والخوف والرجاء، والتعظيم والتوكل وغير ذلك من أنواع الطاعات.

وأن من أظلم الظلم وأقبح القبيح، أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد، وأن يشرك المخلوق من تراب برب الأرباب، أو يعبد المخلوق المدبر العاجز من جميع الوجوه مع الخالق المدبر القادر القوي، الذي قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ففي هذه الآية إثبات وحدانية الباري وإلهيته وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع جميع النقم، فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى⁽²⁾.

ونحن إذ ندرس هذين الإسمين، ونقوم برسمهما في صورة واضحة، ذلك لتزداد معرفتنا بالله عز وجل، وتزداد صلتنا وارتباطنا العميق به سبحانه وتعالى، وأن نستعين به وحده عز

1 - البقرة (163).

2 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، 77/1 - 78، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1421هـ/2000م.

وجل، قال البيضاوي⁽¹⁾: (وإنما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور، هو المعبود الحقيقي، الذي هو مولى النعم كلها، عاجلها وآجلها، جليلها وحقيرها، فيتوجه بشرائره إلى جناب القدس، ويتمسك بجبل التوفيق، ويشغل سره بذكره، والاستعداد به عن غيره)⁽²⁾، فالله الرحمن الرحيم الرؤوف المتناهي في الرحمة بعباده، فلا راحم أرحم منه ولا غاية وراء رحمته سبحانه، فالله وسعت رحمته كل شيء.

ولتوضيح هذه المعاني في اسمي الله الرحمن الرحيم يقول الرازي: (لما كانت سورة التوبة مشتملة على الأمر بالقتال لم يكتب في أولها بسم الله الرحمن الرحيم، وأيضاً من السنة أن يقال عند الذبح: باسم الله والله أكبر، ولا يقال: بسم الله الرحمن الرحيم، لأن وقت القتال والقتل لا يليق به ذكر الرحمن الرحيم، فلما وفقك لذكر هذه الكلمة في كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة، دل ذلك على أنه ما خلقك للقتل والعذاب، وإنما خلقك للرحمة والفضل والإحسان)⁽³⁾.

وبعد معرفتنا بصفات الله تعالى، فستبقى المحبة له طبعاً لا تكلفاً، وإذا تجلّى بصفات الرحمة واللطف والإحسان، انبعثت قوة الرجاء من العبد، وانبسط أمله وقوي طمعه، وسار إلى ربه، وحادي الرجاء يحدو ركاب سيره، وكلما قوي الرجاء جد في العمل، كما أن الباذل كلما قوي طمعه في المغل، علق أرضه بالبذل، وإذا ضعف رجاءه قصر في البذر⁽⁴⁾...

فإذا ما قام العبد يصلي قرأ سورة الفاتحة، ثم يشهد عند ذكر اسم الرحمن... جل جلاله، ربا محسناً إلى خلقه بأنواع الإحسان، متحبباً إليهم بصنوف النعم، وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأوسع كل مخلوق نعمة وفضلاً، فوسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته كل حي، فبلغت رحمته علمه، فاستوى على عرشه برحمته، وخلق خلقه برحمته، وأنزل

1 - البيضاوي: هو ناصر السنة القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي صاحب التصانيف أشهرها منهاج الأصول إلى علم الأصول، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، انظر (طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي (779هـ - 851هـ)، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه، د/ الحافظ عبد العليم خان، مؤسسة دار الندوة الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ).

2 - أنوار التنزيل، البيضاوي، 1 / 38 - 42.

3 - التفسير الكبير، الرازي، 144/1.

4 - الفوائد، لابن القيم، 69/1، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1393هـ / 1973م.

كتبه برحمته، وأرسل رسله برحمته، وشرع شرائعه برحمته، وخلق الجنة برحمته، والنار أيضا برحمته، فإنها سوطه الذي يسوق به عباده المؤمنين إلى جنته، ويظهر بها أدران الموحدين من أهل معصيته، وسجنه الذي يسجن فيه أعداءه من خليقته، فتأمل ما في أمره ونهييه، ووصاياه ومواعيظه من الرحمة البالغة، والنعمة السابعة، وما في حشوها من الرحمة والنعمة، فالرحمة هي السبب المتصل منه بعباده، كما أن العبودية هي السبب المتصل منهم به...، ومنه إليهم الرحمة، ومن أخص مشاهد هذا الاسم، شهود المصلي نصيبه من الرحمة، الذي أقامه بها بين يدي ربه، وأهله لعبوديته ومناجاته، وأعطاه ومنع غيره وأقبل بقلبه، وأعرض بقلبه غيره وذلك من رحمته به⁽¹⁾..

المطلب الثاني : فضل بسم الله الرحمن الرحيم

ولما كانت البسملة مشتملة على لفظي الرحمن الرحيم، كان لا بد من التحدث عن فضلها، وتخصيصها بمطلب مستقل بها، وذلك لأهميتها ولما لها من فضل عظيم يعود بالفائدة والنفع، والأجر الجزيل في حياة المؤمن وآخرته.

1 — بالبسملة كل ابتداء وكل حركة:

إن بسم الله الرحمن الرحيم هي المنطلق في حياة المسلم، التي يبدأ بها كل أعماله، وحركاته وسكناته، فلماذا لا يبدأ بها كلامه، ولماذا لا يبدأ بها كل عمل يقوم به؟، ولماذا لا يتداوى بها من شر ما يجد ومن شر ما يجاذر؟ إذن لماذا لا تكون هي الإنطلاقة لنا في مجالات الحياة كلها؟ لتكون البركة أينما حللنا وسرنا، إنها كذلك للمؤمنين الصادقين، يتبركون بهذين الاسمين المشتقين من الرحمة، تعظيما له سبحانه وتعالى، يقول سيد قطب رحمه الله: (والبدء باسم الله هو الأدب الذي أوحى الله لنبيه في أول ما نزل من القرآن باتفاق، وهو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽²⁾.. وهو الذي يتفق مع قاعدة التصور الإسلامي الكبرى، من أن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن.. فهو - سبحانه - الموجود الحق الذي يستمد منه كل موجود وجوده، ويبدأ منه كل مبدوء بدؤه، فيأسمه إذن يكون كل ابتداء، ويأسمه إذن تكون كل حركة وكل اتجاه)⁽³⁾.

1 - انظر الصلاة وحكم تاركها، ابن القيم، 1 / 203 ، الجفان والجابي - قبرص، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط1، 1416هـ / 1996م.

2 - العلق (1).

3 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 1 / 20.

وفي هذه الجملة — بسم الله الرحمن الرحيم — فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور بإسمه، على جهة التعظيم لله تعالى والتبرك بإسمه.⁽¹⁾

وقال بعض العلماء: (بسم الله الرحمن الرحيم) قَسَمٌ من ربنا أنزله عند رأس كل سورة، يُقسم لعباده إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري، و بسم الله الرحمن الرحيم مما أنزله الله تعالى في كتابنا، وعلى هذه الأمة خصوصاً بعد سليمان عليه السلام، وقالوا كذلك: (إن بسم الله الرحمن الرحيم) تضمنت جميع الشرع لأنها تدل على الذات، وعلى الصفات وهذا صحيح.⁽²⁾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ⁽³⁾، ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي...)⁽⁴⁾. وجاء في كتاب الدر المنثور، عن ابن مسعود⁽⁵⁾ قال: من أراد أن ينحيه الله من الزبانية التسعة عشر، فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد، وفي الدر المنثور عن ابن عباس مرفوعاً: إن المعلم إذا قال للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب للمعلم وللصبي ولأبويه براءة من النار... وعن علي بن أبي

1 - إتيان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، محمد بن محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل محمد العربي، 152/ 2، الفاروق الحديثة - القاهرة، ط1، 1415هـ/1995م.

2 - انظر الدر المنثور، عبد الرحمن بن كمال جلال الدين السيوطي، 26/1، دار الفكر - بيروت، 1413هـ/1993م.

3 - الخداج: النقصان.

4 - صحيح مسلم، مسلم، كتاب الصلاة برقم: 598، وهو جزء من الحديث الطويل.

5 - ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن الحارث بن عاقل، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي رضي الله عنه، صار من كبار الأوصياء، وأخذ القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حسن الهيئة، وطيب الرائحة، وموصوف بالذكاء والفتنة، أسلم قبل عمر رضي الله عنه، وقد قال له النبي ﷺ: (إنك لغلليم معلم)، وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه إن النبي ﷺ أخى بين الزبير وابن مسعود، وروى عبيدة السلماني عن ابن مسعود أن النبي ﷺ بشره بالجنة، وقال ﷺ: (من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد)، وسمعه يدعو فقال: سل تعطه، وقال: (لرجل عبداً في الميزان أثقل من أحد)، وقال: حذيفة ما أعلم أحداً أقرب سمناً ولا هدياً ودلاً برسول الله ﷺ حتى يواريه بيته من ابن أم عبد، وكان مقتداً به في معاني القرآن، توفي سنة 32هـ ودفن بالبقيع، انظر معرفة القراء الكبار، للذهبي، 31/1-35 ترجمة 4.

طالب رضي الله عنه مرفوعاً، إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله يصرف بها ما يشاء من أنواع البلاء⁽¹⁾.

وعن عطاء⁽²⁾ قال: إذا تناهقت الحمر من الليل فقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وجاء في الدر المنثور: الجن يستمتعون بمتاع الإنس وثيابهم، فمن أخذ منكم أو وضعه، فليقل بسم الله، فإن اسم الله طابع⁽³⁾.

وذكر القرطبي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾⁽⁴⁾، قال: معناه: إذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، وعن عبدالله بن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ليحعل الله تعالى له بكل حرف منها جنة من كل واحد، فالبسمة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾⁽⁵⁾، وهم يقولون في كل أفعالهم: بسم الله الرحمن الرحيم، فمن هنالك هي قوتهم وبسم الله استضعفوا..⁽⁶⁾

يقول أبو حامد الغزالي⁽⁷⁾: وفي أسرار الفاتحة وبيان جملة من حكم الله في خلقه، فإذا تفكرت وجدت الفاتحة على إيجازها، مشتملة على ثمانية مناهج أولها — قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ نبأ عن الذات ثانيها — وقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ نبأ عن صفة من صفات خاصة، وخاصيتها أنها تستدعي سائر الصفات، من العلم والقدرة وغيرهما، ثم تتعلق بالخلق، وهم المرحومون تعلقاً يؤنسهم به، ويشوقهم إليه، ويرغبهم في طاعته، لا

1 - الدر المنثور، السيوطي، 1/ 25-26.

2 - عطاء بن أبي رباح أسلم: من مولدي الجند نشأ بمكة وعلم الكتابة بها وكان مولى لبني فهر يكنى بأبي محمد وكان أسود وأعور وأفطس وكان عالماً بالقرآن ومعانيه وهو ابن ثمانين، توفي سنة خمس عشرة ومائة، انظر (طبقات المفسرين - الداودي 1/ 14، رقم الترجمة: 21).

3 - أنظر الدر المنثور، السيوطي، 1/ 25-26، وهو قول صفوان بن سليم.

4 - الإسراء (46).

5 - المدثر (30).

6 - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي 1/ 91-92.

7 - أبو حامد الغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي، زين الدين حجة الإسلام أبو حامد، حكيم متكلم، فقيه وأصولي صوفي، شارك في أنواع العلوم، من تصانيفه إحياء علوم الدين، الوجيز في فروع الفقه الشافعي، المستصفى في أصول الفقه، ولد في (طابران) بخرسان سنة 450هـ، أو 451هـ، وتوفي سنة 505هـ هجرية، انظر (معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق = التراث في مؤسسة الرسالة، 11/ 266، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط1، 1414هـ / 1993م، وطبقات المفسرين للداودي، 1/ 152، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهاب الدمشقي، 1/ 300 - 301، ترجمة رقم: 261).

كوصف الغضب لو ذكره بدلا عن الرحمة، فإن ذلك يحزن ويخوف، ويقبض القلب ولا يشرحه⁽¹⁾، فأول السورة رحمة وأوسطها هداية، وآخرها نعمة، وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية، وحظه منها على قدر حظه من الرحمة، فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته، والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته، فلا يكون إلا رحيمًا، وذلك من موجبات ألوهيته، فهو الإله الحق، وإن جحد الجاحدون وعدل به المشركون⁽²⁾.

ويبين الرازي فضل البسملة في كتاب سليمان بقوله: وأيضا أن سليمان عليه السلام نال مملكة الدنيا والآخرة بقوله: (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)⁽³⁾ فالمرجو أن العبد إذا قاله فاز بملك الدنيا والآخرة⁽⁴⁾.

ويقول الرازي: طلب بعضهم آية من خالد بن الوليد، فقال: إنك تدعي الإسلام فأرنا آية لتُسَلِّم فقال: اتتوني بالسُّم القاتل، فأتي بطاس من السم، فأخذها بيده وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وأكل الكل وقام سالما بإذن الله تعالى، فقال الجوس: هذا دين حق.

ويقول الرازي أيضا: مر عيسى ابن مريم عليه السلام على قبر، فرأى ملائكة الرحمة معهم أطباق من نور، فتعجب من ذلك، فصلى ودعا الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه: يا عيسى كان هذا العبد عاصيا، ومذ مات كان محبوسا في عذابي، وكان قد ترك امرأة حبلى، فولدت ولدا وربته حتى كبر، فسلمته إلى الكتاب فلقنه المعلم: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فاستحييت من عبدي أن أعذبه بناري في بطن الأرض، وولده يذكر اسمي على وجه الأرض⁽⁵⁾.

ويقول الرازي أيضا: كتب عارف: (بسم الله الرحمن الرحيم) وأوصى أن تجعل في كفته، فقيل له: أي فائدة لك فيه؟ فقال: أقول يوم القيامة: إلهي بعث كتابا، وجعلت عنوانه (بسم الله الرحمن الرحيم) فعاملني بعنوان كتابك⁽⁶⁾.

2 — والبسملة هي الشافية:

1 - جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: د/ محمد رشيد رضا القباني، 64/1، دار إحياء العلوم - بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

2 - الفوائد، لابن القيم، 20/1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1392هـ / 1973م.

3 - النمل (30).

4 - التفسير الكبير، الرازي، 141/1.

5 - انظر التفسير الكبير، الرازي، 143/1.

6 - انظر التفسير الكبير، الرازي، 144/1.

وبالسلمة هي أساس الفاتحة وهي الشافية، قال القرطبي: شكا رجل إلى الشعبي وجع الخاصرة، فقال له: عليك بأساس القرآن، فاتحة الكتاب، سمعت ابن عباس يقول: لكل شيء أساس، وأساس الدنيا مكة، لأنها منها دحيت، وأساس السموات عرياء، وهي السماء السابعة، وأساس الأرض عجيبا، وهي الأرض السابعة السفلى، وأساس الجنان جنة عدن، وهي سرّة الجنان، وعليها أسست الجنة، وأساس النار جهنم، وهي الدركة السابعة السفلى، عليها أسست الدركات، وأساس الخلق آدم، وأساس الأنبياء نوح، وأساس بني إسرائيل يعقوب، وأساس الكتاب القرآن، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة، بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى⁽¹⁾.

وقال الرازي: كتب قيصر إلى عمر رضي الله عنه أن بي صداعا لا يسكن فابعث لي دواء، فبعث إليه عمر قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه يسكن صداعه، وإذا رفعها عن رأسه عاوده الصداع، فعجب منه ففتش القلنسوة، فإذا فيها كاغد مكتوب فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم)⁽²⁾.

1 - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 3/1.

2 - انظر التفسير الكبير، الرازي، 143/1.